بعد دنانير

عودى فاصحى يا أم كلثوم

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

أم كلثوم . عبد الله أباظة . عبد الحليم محمود . زكريا أحمد . محمد القصبجى . رياض السنباطى . أحمد رامى . أحمد بدرخان . عباس فارس . سليمان نجيب ...

هؤلاء جميعاً ومعهم غيرهم تعاونوا فى إخراج « دنانير » . وهؤلاء وغيرهم الذين معهم ، جميعاً ، من جبابرة الفن فى مصر ، سواء منهم الذين يغذون الفن بالمال ، وسواء منهم الذين يغذون الفن بالفكر والجهد ، وسواء منهم الذين يغذونه بالشعور والحس

ومع يقينى بهذا ، واعترافى به ، فإنى أريد أن أقول إن فلم « دنانير » الذى تعاون فيه هؤلاء كلهم ومعهم غيرهم . . . فلم فاشل ميت ! فكم من القراء يا ترى سيصدق قولى هذا ويعترف لى بالحق فيه؟ وكم منهم سيقول: «أسكت المفتون عن عبدالوهاب فاندار على أم كلثوم ! »

فليقل من يريد ما يشاء أن يقول ، فأنا مرتاح إلى حكمى هذا ، كما أنى أضمن مع صوتى فيه صوتين اثنين على الأقل ، هما الصوتان الصارخان فى انكتام ، المنبعثان من صدرى عبد الله أباظه بك والأستاذ عبدالحليم محمود المنفقين على الفلم والمغذيانه بالمال . فقد كانا من غير شك يؤملان فى ربح كبير يدره عليهما هذا الفلم ليبعث فى نفسيهما بعده التشجع على إخراج غيره وغيره تحقيقاً لما ينزعان إليه من النهوض « بصناعة السينما » على اعتبار أنها صناعة مصرية ناشئة ، وعلى رجاء فيها لو نمت وترعرعت وازدهرت أن تنمو معها الفنون الجميلة جميعاً فى مصر وأن تترعرع وأن تزدهر ، فالسينما هى المعرض الحى الباقى المتنقل الحفيظ على إنتاج الروح من أدب ، وتمثيل ، وموسيقى ، وغناء ، وتصوير ، وزخرفة ، وهندسة ، وتزيين ، ورقص ، وإخراج وغير ذلك ... وكلما راج هذا المعرض راجت بضائعه ، وكلما راجت بضائعه انتعش تجارها من أصحاب الفنون المختلفة ، وكلما انتعش هؤلاء سرى الانتعاش من أرواحهم إلى أرواح جماهيرهم ، وكلما شعرت أرواح الجماهير بفرحة الفن ونشوته انتفضت أعصابها وارتعشت فيها الحياة ، وعندئذ يرجى من هذه الجماهير الخير ، وعندئذ تراها الدنيا وهى شعوب مقبلة على حياة العمل والحركة والتوثب والسمو

وعندنا المثل على هـذا . . . أمريكا . فأبرز ما فى صناعتها السينما ، وأبرز ما فى أخلاقها النشاط الذى يكاد يكون جنوناً

... هذه من غير شك آمال كانت تخفق بها نفس عبد الله أباظه بك ونفس الأستاذ عبد الحليم محمود ، ونزوعاً إلى تحقيقها أنفقا ما أنفقا فى إخراج هذا الفلم ، والذى أنفقاه لا بد أن يكون مبلغاً ضخماً جداً من المال ، فمناظر الفلم وأثاثه ورياشه وملابسه كلها مما يقصم الظهر إعداده وتجهيزه ، وأجر المؤلف وأجر المخرج وأجور الممثلين وإن كانت تقل بكثير عن أمثالها مما يدفع لأمثالهم فى الخارج فهى من غير شك كانت فى مجموعها مبلغاً لا يستهان به ، وأجور الملحنين هى وحدها لا أستطيع أن أقول إنها كانت شيئاً مذكوراً فهؤلاء وحدهم هم المظلومون الذين يعطون مادة الغناء للأفلام الغنائية التى ترتكز على الغناء أول ما ترتكز

ضحت شركة أفلام الشرق ما ضحت فى سبيل دنانير ، وجمعت لأم كلثوم كل القوى التى حسبتها كفيلة بإبلاغ الفلم إلى درجة الكمال التى تتوق إليها ، فإلى أى حد أدت كل قوة من هذه القوى واجبها ، وحملت أمانة القسط المعهود إليها به ؟

وقبل أن أقول كلمتى المجملة فى هـذه القوى وفى أم كلثوم من فوقها يجب أن أذكر لشركة أفلام الشرق تضحية أخرى غير

يا مُنْيَةَ الرُّوحِ حَسْبِى فى هَوَاكِ ضَنًى
رُدِّى عَلَىَّ اتِّئَادِى صَوْبَ المَدْمَعِ القانى

رُدِّى عَلَىَّ شَبَابِى وارْحَمِى كَبِداً ... غَادَرْتِهَا نَهْبَ آلامٍ وَأَشْجَانِ
صِلِى مُعَنَّاكِ لا تَخْشَىْ عَوَاذِلَهُ ... قَوْلُ العَوَاذِلِ مَوْسُومٌ بِبُهْتَانِ
لا تَحْرِمِينِيهِ عَطْفاً عَزَّ مَطْلَبُهُ ... كَفَى بِنَفْسِى شَقَاءً طُولُ حِرمانِى
أَنْ يُنْكِرِ الأَهْلُ وَالخِلاَّنُ مَوْقِفَنَا ... لا الأَهْلُ أَهْلِى ولا الخِلاَّنُ خِلاَّنِي

(دار الأهرام) نزار بليبل

التضحية المالية ، بذلتها راضية عن حب وكرامة لتوفر لأم كلثوم كل أسباب الراحة والاطمئنان فى العمل ، تلك التضحية هى أنها أخضعت إرادتها لإرادة أم كلثوم فى اختيار هذه القوى التى ساندتها وعاونتها ، اللهم إلا واحداً فقط تشبث به عبد الله أباظه بك وهو زكريا أحمد فقد كان على خلاف مع أم كلثوم ، وأباظه بك هو الذى ذلل هذا الخلاف وأزاله ...

أم كلثوم أولا

والآن ... ما الذى حدث لأم كلثوم حتى أنها استحالت فى نظرى من فتاة تشبع النفس إشباعاً مريحاً إلى هذه الجديدة التى حين سيطرت على عمل فنى كبير مثل « دنانير » خرج من تحت يدها وهو فاشل ميت مع وفرة المال الذى بذل فيه وطواعية المعاونين الذين عاونوها فيه ... ؟

لا بد أن يكون قد حدث لأم كلثوم شىء أصاب نفسها وفقد على روحها ؟ فما هذا الذى حدث ؟ وما هى دلائله ؟!

الكاميرا صاحبة العين النافذة تقول لنا ما الذى حدث !

قالت لنا الكاميرا إن أم كلثوم اغترت ، وإن إحساسها ركد ، وإن بدنها طغى على روحها ، وإنها استمرأت التكلف والتصنع حتى نضبت سجيتها وجفت عواطفها ؛ فانحرمت من الفرح تبعاً للذى أرادته من الامتناع على الألم . وقد قالت لنا الكاميرا أيضاً إن أم كلثوم ـ لها الله ـ قد تحجرت

أما غرور أم كلثوم فشىء رأيته شائعاً فى الفلم ولكنى لم أستطع أن أطبق على عنقه متلبساً بجادثة ، لأجره وأقفه أمام الأنظار وهو عريان . فللذين يريدون أن يروه أقول إن عليهم أن يشاهدوا الفلم ليتحسسوه فقد يلمسونه

وأما ركود الحس فقد قبضت عليه متلبساً بجادثة ، وقد ظهر على أم كلثوم فى موقفها مع الخليفة حين كانت تستعطفه على جعفر فما بدا فى هذا الاستعطاف إحساس بجعفر ولا بها ولا بالخليفة . وإنما الذى بدا منها فى هذا الموقف اهتزازات وغمزات بالكتفين وهمزات فى الصوت لا يمكن أن تصدر من موجع يستعطف لنكوب ؛ وإنما هى قد تصدر من جارية تغرى مولاها إذا هجرها

وأما طغيان البدن فظاهر فى هذا الموقف أيضاً لأنه مصاحب لركود الحس ؛ فكل من ركد حسه طغى عليه بدنه ، وهو ظاهر كذلك فى مواقف أم كلثوم الغنائية جميعها . فقد كانت تغنى وتحرص كل الحرص على أن تضم شفتيها وتصغر فمها فلا تفتحه مهما تطلب الغناء أن تفتحه ، كأنما كانت تخشى أن يرى الناس فمها واسعاً ؛ وكأنما كانت تخشى أن يرى الناس شفتيها غليظتين ؛ مع أن أهل الفراسة يقولون إن الفم الواسع والشفاه الغليظة من لوازم الغناء ، لأنهما عضوان من الأعضاء التى يتكون منها جهازه البدنى

ولأن أم كلثوم قد فعلت فعلتها هذه ، فقد كانت الألحان تخرج من بين شفتيها مخنوقة مصفاة الدم مجهدة الروح ، ولو كنت أنا زكريا أحمد لطالبت أم كلثوم بتعويض كبير ، لأنها خنقت لى لحن « بكره السفر » ـ على الأقل ـ فهو لحن كان من حقه أن يذيع فى مصر من أقصاها إلى أقصاها اليوم لو أن أم كلثوم أرسلته حياً نابضاً كما أعطى لها ...

وليس « بكره السفر » وحده هو اللحن الذى قتلته أم كلثوم ، وإنما هى سامحها الله قد قتلت ألحان الفلم جميعاً ، فبعضها مات موتاً ، وبعضها أغمى عليه ، وبعضها أصيب برضوض وعاهات

أما التكلف والتصنع فقد سجلته الكاميرا على أم كلثوم فى هذا الذى رأيته ، كما سجلته مع هذا فى كل موقف من مواقف الفيلم تبسمت أم كلثوم فيه ... فابتساماتها لم تكن إلا هذه الابتسامة الجامدة التى عرفت بها السيدة بديعة مصابنى

لقد كانت هذه الفتاة من عامين فقط حقيقة كالحلم الذى يطوف بروح القديس ، فأصبحت اليوم حلماً كالحقيقة التى لا تطوف بروح القديس ...

أختاه ... لا تقولى ما لهذا الولد يتصدى لنفسى؟ فإنى لا أعرف سبيلاً إلى نقد الفن إلا نقد النفس ، لأنى لا أعرف الفن إلا على أنه ثمرة النفس ، ولست أعرف هذا من كتاب قرأته ، ولا من « هبسلنتى » ولا من « شروتسكى » ، وإنما عرفته منك ومن غيرك ممن أتلقى غذاء روحى عنهم

فافهمينى ، واسمعى كلامى ، وعودى واسمعى ...

وإلى اللقاء ... إذا شئت

المؤلف

هو الأستاذ أحمد راسى ... والأستاذ أحمد راسى لا يؤلف شيئاً فى هذه الأيام إلا إذا طلب منه هذا الشىء

وأظنه لا يستطيع أن يقول إنه يدخر فى نفسه أفكاراً وأحاسيس يرسلها حين يطلب منه ويؤلف ، وهو لو قال ذلك لما صدقه أحد ، لأن فلم دنانير لا يزال معروضاً على الناس وقصته ها هى ذى أمامنا حوادث هادئة متتابعة ومناقشات متتالية

ليس فيها مفاجأة واحدة تصدم الفكر العادى مما يمكن أن يقال إنها من مدخرات كاتب فنان ...

وقد نبلغ للأستاذ راى هذا كله إزاء أبيات قليلة من الشعر أفلتت منه حية إلى حد ما ، كما أننا قد نقبل هذا كله لأن الناس اتفقوا فيما بينهم يأساً وقنوطاً على أن هـذه الأفلام الغنائية لا يرجى فيها الموضوع ولا يقصد فيها إلى الاستمتاع بالأدب ... ومع أنى لا أحب أن آخذ بهذا فإنى آخذ به إرضاء للأستاذ راى

— الإخراج

إذا كان الإخراج هو التنسيق والتزيين والترتيب فإن الأستاذ أحمد بدرخان قد وفق فى دنانير إلى إدراك هذا كله

أما إذا كان الإخراج هو نفخ الروح فى التمثيل والممثلين ، فإن الأستاذ أحمد بدرخان لم يوفق إلى شىء منه ، وكان طبيعياً ألا يوفق الأستاذ إلى شىء منه لأنه إنما اختير لإخراج هذا الفلم اعتماداً على أنه رجل هادئ الطبع يرضى من يعمل معهم قبل أن يرضى نفسه . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعتبر كل ممثل فى هذا الفلم مسئولاً عن نفسه وعن تمثيله

— التمثيل

عباس فارس ... قلت إنه مجوّد ، وقد جوّد دور الخليفة وإن كان استهله استهلالاً بدا انجليزياً فى المشية والجلسة والإشارات والحركات ، وقد ساعدته على هذا الموسيقى التى وضعها الأستاذ الشجاعى لهذا الاستهلال ، فقد كانت هى أيضاً موسيقى أفرنجية بحتة لو أغمض الإنسان عينيه واستمع إليها لذكر فرانسوا الأول ، أو فردريك الأكبر ، أو شارلمان ، أو ملك من الملوك إلا هرون الرشيد العربى ...

سليمان نجيب ... قد يؤلمه أن أقول إنى أراه فى التمثيل كما أرى إخواننا من طلبة الجامعة أعضاء فرقتها التمثيلية . ولكن هذا رأيى ، ولم يكن لرأيى فى يوم من الأيام قيمة تؤثر على مكانة إنسان ما ...

عمر وصفى ... كان عظيماً فى دوره القصير . دور أبى دنانير

فؤاد شفيق ... كان مكتوفاً فى دور أبى نواس . أراد أن يمثل شيئاً ولكن المؤلف أفقده .

التلحين

« بكره السفر » هو غرة الألحان فى هـذا الفلم . فهو لحن حى راقص منساب سلس مطرب ثم إنه قبل هذا وذاك لحن شرقى . وهو من ألحان زكريا

« قولى لطيفك ينثنى » غنته أم كلثوم ثلاث مرات بثلاث تلاحين ، وهذا تحد فنى لا يجرؤ عليه إلا زكريا أحمد

« لحن العيد » من ألحان السنباطى الحلوة لولا أنه بعيد عن روح عصر الرشيد

« لحن النبع » من ألحان القصبجى التى اعتاد أن يملأها هندسة وتفكيراً يستعيض بهما عن العاطفة التى اختطفت منه ...

إنى أعتذر

وأخيراً ... لا بد لى من أن أعتذر عن هذا النقد القاسى ، فأنا أعلم أن الذى يقرأه من غير أن يشاهد الفلم ، ويكون ممن يصدقوننى ، سيحكم على الفلم — بحكمى ...

ولذلك أبادر فأقول : إن فلم دنانير لا يزال فى طليعة أفلام الدرجة الأولى التى أخرجت فى مصر ، وإنه يستحق أن يشاهد مرتين وثلاثاً وأربعاً ... وإن الذى يشاهده لا ريب سيخرج منه بمتعة ومتعة ومتعة. ولكننى إذ أقف أمامه هذه الوقفة المنكرة أرجو أن يصادف كلامى آذاناً مصغية، وقلوباً واعية ، فإذا تحقق هذا انتفعت من أعمالنا الفنية هذه العيوب التى أعيبها وأحب الخلاص منها .

وقد كنت أستطيع أن أمالئ هذا الفلم بكلام يرضى أصحابه ولكننى أعلم أنهم فى غير حاجة إلى المالقة ، فهم ليسوا صغاراً ، وليسوا ضعافاً ، وليسوا فقراء إلى مثلى ... بل ربما كنت أنا الفقير إليهم ، أغنانى الله عنهم ...

وعلى هذا فإنى أهدى إليهم تهنئتى القلبية الصادقة ، كما أؤكد لهم أن « الرسالة » ليست مسئولة منى عن هذه القسوة ، وكما أعيد عليهم قولا قالته « الرسالة » يوماً نقدت فيه « جندول » الأستاذ عبد الوهاب ، وهو أنه فى أغلب الظن ليس كثير من النقاد ينضم إلىّ فى رأيى ...

عزيز أحمد فهمى

مدرس للغـــة التركية والعربية

الأستاذ أحمد حمدى قصاب أوغلو مؤلف كتاب دليل الحاج للرشد على المذاهب الأربعة

يعطى دروساً باللغة التركية والعربية بأسلوب سهل على الطريقة الحديثة والقديمة . وعنوانه مكتبة مراد لصاحبها عبد الرحمن أفندى مراد بشارع جوهر القائد — (الحكة الجديدة سابقاً) سيدنا الحسين بمصر .